مجلة بوابة الباحثين للدراسات والأبحاث
Researchers Gate Journal for Studies and Research
ISSN (Print): 3080-1354 ISSN (online): 3079-787X
Volume: 2, Issue: 6 2026

الحكمة في شعر أبي دواد الإيادي: دراسة وصفية تحليلية

Wisdom in the Poetry of Abu Duwad al-Iyadi: A Descriptive and Analytical Study

م. عبد الله محمد سلامة النجم – كلية الآداب، جامعة الإسراء، الأردن.

Instructor Abdullah Mohammad Salameh Al-Najm – Faculty of Arts, Al-Isra University, Jordan.

abdallah.alnajm@iu.edu.jo

DOI: https://doi.org/10.64337/rgj.v2i6.168

الملخص

غرض الحكمة في الشعر والتراث الأدبي عموماً من الأغراض الرئيسة التي برع فيها عدد من الشعراء على مرِ العصور، أو طرقها شعراء في بعض مقطوعاتهم وقصائدهم وبحسب ما يقتضيه الظرف أو المناسبة.

وهذه دراسة تَعنى بالوقوف على موضوع الحكمة ومضامينها وموضوعاتها في ديوان أحد شعراء العصر الجاهلي أبي دواد الإيادي، متتبعة قصائده ومقطوعاته لتجلية وجوه الحكمة وما بثه الشاعر بين جنبات الديوان وفي ثناياه من شذرات ولمسات تدخل في باب الحكمة.

استخدم الباحث خلال إجراء هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقتضي عرض النصوص الشعرية المختلفة أو المقطوعات، التي بدت فيها ملامح الحكمة، أو أرشدت إليها، وتحليلها بما يظهر موضوعاتها والمضامين التي دارت في فلكها، أو القضايا التي تمركزت حولها.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها: تنوع مضامين الحكمة وموضوعاتها في شعر أبي دواد الإيادي ولم تقتصر على مضموناً واحداً، ثم إنه كان التسليم بفكرة الموت والفناء من أكثر موضوعات الحكمة التي اعتنى بها أبو دواد الإيادي، إضافة إلى نتائج أخرى تَذكر في موضعها.

الكلمات المفتاحية: الحكمة، الشعر الجاهلي، الجاهلية، الموت، أبو دواد الإيادي.

Abstract

The genre of wisdom (Hikmah) in poetry and literary heritage has remained one of the primary themes in which numerous poets excelled throughout the ages, or explored within specific stanzas and poems as dictated by circumstances or occasions. This study examines the theme of wisdom, its connotations, and its subjects within the Diwan of Abu Duwad al-Iyadi, a prominent pre-Islamic poet. It tracks his poems and fragments to elucidate the facets of wisdom and the philosophical touches the poet interspersed throughout his work. The researcher employed a descriptive-analytical methodology, which entails presenting various poetic texts and fragments reflecting elements of wisdom, analyzing them to reveal their underlying themes and central issues. The study reached several significant results, most notably: the diversity of wisdom themes in Abu Duwad al-Iyadi's poetry, which were not confined to a single dimension. Furthermore, the acceptance of the inevitability of death and mortality emerged as one of the most prominent themes of wisdom addressed by the poet, alongside other findings detailed within the research.

Keywords: Wisdom, Pre-Islamic Poetry, Jahiliyyah, Death, Abu Duwad al-Iyadi.

المقدمة

لعل من الحكمة أن يبحث الإنسان عن الحكمة ومواطنها ومصادرها، ثم يتمثلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهذا لا شك مما تحرص عليه الأمم وأفرادها قديماً وحديثاً، خاصة أن الحكمة والحكم تَسهم في تغذية ثقافة الشعوب والارتقاء بأخلاقها وأفكارها على المستويين النظري والعملي.

ويمكن القول إن التراث الأدبي بشقيه الشعر والنثر من أكبر الأوعية لحفظ ما ورد من حكم على ألسنة أهلها عبر مر العصور، وهو ما يستدعي البحث في هذا التراث ونبشه وصولاً إلى تلك المكنونات المختزلة بين طياته وفي ثنايا جنباته، وبالتالي الإفادة منها في مجالاتها المختلفة.

وعلى المستوى العربي كان العصر الجاهلي من أثرى عصور أمتنا في جانب الحكم والحكمة عموماً، خاصة ما ورد في أشعار وقصائد ومقطوعات أولئك القوم، وهذا ما دعا الباحثَ لاختيار أحد شعراء تلك الحقبة والتمعن في ديوانه واستقرائه لالتقاط صور الحكمة وأشكالها ومضامينها التي جرت على لسانه في ديوانه الشعري، وهذا الشاعر هو أبو دواد الإيادي.

والحقيقة أن عدم وجود دراسات أو بحوث متعلقة بموضوع الحكمة في ديوان شاعرنا أو غيره لا يعني بالضرورة خلو أشعاره من الحكمة أو صورها من قريب وبعيد.

لذلك، فإن أهمية الموضوع ترجع إلى أنه يسهم في استقراء التراث الأدبي –خاصة الجاهلي– وعدم الوقوف عند الحدود التي وصلت إليها الجهود السابقة واللاحقة في هذا الباب، وبالتالي إظهار وجوه جديدة من جماليات هذا التراث الغني والفريد.

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عدة، أهمها:

- عدم وجود دراسات اختصت بدراسة غرض الحكمة في شعر أبي دواد الإيادي.

- انشغال كثير من الباحثين والدارسين في شعر أبي دواد بموضوع اشتهاره وتصدره في وصف الخيل، الأمر الذي جعلهم أُسارى هذه الدائرة من البحث والتمحيص.

وتهدف الدراسة إلى:

- محاولة استنطاق ديوان أبي دواد وإظهار ما خفي من جمالياته في موضوع الحكمة.
- السعي لإثبات وجود غرض الحكمة في بعض أشعار وأبيات الشاعر.
- الوقوف على أشهر صور الحكمة ومضامينها في ديوان الشاعر.
- تجلية العلاقة بين مضامين الحكمة والواقع المعاش بالنسبة للشاعر.

وقد جاءت الدراسة لتجيب عن التساؤلات التالية:

- ما هي تجليات الحكمة في شعر أبي دواد الإيادي؟
- ما هي أبرز صور الحكمة ومضامينها التي دارت حولها؟
- هل من علاقة بين تجليات الحكمة عند أبي دواد وتجاربه أو واقعه الاجتماعي؟

أما عن الدراسات السابقة في هذا الشأن، فإن الباحث لم يجد –فيما اطلع عليه– دراسة تناولت موضوع الحكمة في شعر أبي دواد الإيادي، وقد وجد بعض الدراسات التي تناولت الشاعر أو شعره أو كليهما، ومنها:

أولاً: كتاب بعنوان (أبو دواد الإيادي – دراسة موضوعية وفنية) تأليف: علي حسن الجنابي (2012) العراق، ولم يتمكن الباحث من الاطلاع على محتوى الكتاب لعدم وجود نسخة إلكترونية أو ورقية، وما توفر من معلومات حول الكتاب – بحسب دار النشر– أنه تضمن دراسة عن حياة الشاعر وقبيلته، ودراسة في ديوانه وموضوعات شعره وخصائصه الفنية.

ثانياً: دراسة بعنوان (الشاعر الجاهلي المغمور: أبو دواد الإيادي)[1] للباحث: مصطفى رجب، إذ عرضت الدراسة لإحاطة عامة حول التعريف بالشاعر ومكانته بين قومه وشاعريته ولم تعرض لموضوعات شعره أو أغراضه أو الحكمة في شعره.

ثالثاً: رسالة ماجستير بعنوان (الحكمة في الشعر الجاهلي – دراسة أدبية نقدية) للباحثة: مشاعر عبد الرحمن منصور (2015) من جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، إذ عدَّت الباحثة الشاعر أبي دواد الإيادي مع قائمة الشعراء الجاهليين المقلين في الحكمة، وذكرت له بيتين فقط.

ومنهج الدراسة المتَّبع هو المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض النصوص الشعرية من ديوان الشاعر وتحليلها بالشكل الذي يظهر صور الحكمة ومضامينها في شعر أبي دواد، وقد اتبع الباحث منهجية خاصة خلال عرض مطالب البحث تتمثل بتدعيم الأفكار المطروحة والمضامين التي اشتملتها أشعار أبي دواد بشاهد على الأقل في نفس المضمون لأحد الشعراء من تلك الحقبة بغية إرساء تلك الحكمة وإظهار ديمومتها، ثم ذكر شيئاً من نصوص الكتاب والسنة التي أثبتت هذه القيمة والحكمة وأيدتها بالقدر الذي يدعم الدراسة في مطالبها الثلاثة.

وقد انحصرت حدود البحث في قصائد ومقطوعات أبي دواد الإيادي المثبتة في ديوانه المحقق، وللإحاطة بالموضوع فقد اقتضى ذلك أن يقسم إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة تضمنت نتائج الدراسة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

أما المقدمة: فكان الحديث فيها حول الإطار العام للموضوع بما فيه أهمية الدراسة ودوافعها وأسبابها وأسئلتها، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع خلال إجراء الدراسة، وحدود الدراسة، وتقسيمها.

[1] نُشرت هذه الدراسة في مجلة جذور التراث، النادي الثقافي الأدبي بجدة، مج: 12، ع: 30، 2010، ص443-459.

وأما التمهيد: فقد تضمن تعريفاً بالشاعر وتوضيح مفهوم الحكمة في اللغة والاصطلاح وتوطئة حول الحكمة عند العرب.

والمبحث الأول: فكان ينصب حول فكرة التسليم بالموت والفناء، وهي من مضامين حكمة الشاعر.

والمبحث الثاني: جاء ليعالج مضمونا آخر من مضامين الحكمة وهو متعلق بالكرم والسخاء.

والمبحث الثالث: وقف فيه الباحث على حكمة الشاعر حول قيمة حفظ العهد والجوار.

ثم الخاتمة التي ضمنت نتائج الدراسة، يليها قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

أولاً: التعريف بالشاعر

لعل التعريف بالشاعر لن يكون بالأمر الهين؛ وذلك لندرة المعلومات الواردة في المصادر وكتب التراجم التي عرفت به، خاصة وأنه "أحد الشعراء القدامى الذين اختلف الرواة كثيراً في اسمه، لقلة الروايات عنه، ولقدم عصر هذا الشاعر الكبير" (الإيادي، 2010، ص3) ونثبت ما ورد في الأعلام فهو "جارية بن الحجاج الايادي، المعروف بأبي دواد: شاعر جاهلي كان من وصاف الخيل المجيدين" (الزركلي، 2002، 2\106) فهو على ما يبدو كان معتنياً بوصف الخيل في شعره، وهذا ما ظهر جلياً للباحث خلال استقراء الديوان، بل قيل إنه "أوصف شعراء الجاهلية والاسلام للخيل خاصة، وهو يجيد وصف الإبل ووصف الثور، وله أشياء من الفخر والمديح والرثاء والعتاب والغزل والحكمة" (فروخ، 2006، 1\123) وهو كما قيل "شاعر قديم كان على خيل المنذر بن النعمان من ملوك الحيرة" (الشنتمري، 1983، 1\229) والحقيقة أن معظم ما وقف عليه الباحث من ترجمة

الشاعر في المصادر التي عرضت له، لم تذكر خلاف ذلك، اللهم إلا اختلاف الروايات من جهة الاسم والنسب.

ثانياً: مفهوم الحكمة في اللغة في الاصطلاح

تعرضت معظم معاجم اللغة لمفهوم الحكمة من جهة اللغة، ومن ذلك ما ورد في المعجم الوسيط " (حكم) بالأمر – حكما: قضى. يقال: حكم له، وحكم عليه، وحكم بينهم"(أنيس وآخرون، 2004، ص190).

أما مفهومها الاصطلاحي فقد ورد الكثير من التعريفات لمقصود الحكمة، ونثبت شيئاً من هذه التعريفات بما يجلي هذا المفهوم ويؤصل له.

ومن ذلك ما أثبته الجرجاني في تعريفاته بقوله: "الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو، وكل كلام وافق الحق فهو حكمة..." (الجرجاني، 2003، ص96) فهو يجعلها من الكلام الذي وافق العقل البشري، وخلا من فضلة القول، ومن جهة أخرى هي ما اتفق مع الحق والصواب ولم يخالفهما.

وقيل أن الحكمة "قول بليغ موجز صائب يصدر عن عقل وتجربة وخبرة بالحياة، ويتضمن حكماً مسلماً في أمر بخير أو نهي عن شر" (خفاجي، 1992، ص147) وهذا المفهوم لا يبتعد كثيراً عن سابقه إلا أنه ربط الحكمة بالتجربة والخبرة الإنسانية، وتدور حول الحض على الخير أو الدعوة لاجتناب الشر.

وقد تعني الحكمة "الكلام القائم على العلم والموجه إلى الصواب والسداد في القول والعمل" (الفاخوري، 1980، ص11) فالحكمة لا تنحصر فقط في القول والكلام، بل تشمل الأعمال على اختلافها وبما لا يخرجها عن الصواب والسداد.

وحول عرض هذه العينة من التعريفات المتعلقة بالحكمة، فإن القصد من وراء ذلك هو محاولة إثبات فكرة تقوم على أن مفهوم الحكمة لا يمكن تقييده أو حصره في جهة معينة أو اصطلاح خاص لا يخرج عنه، وإنما هي أوسع من ذلك وأشمل؛ ذلك أنها –أي الحكمة_ مرتبطة بالنفس الإنسانية في معظم أحوالها قولاً وعملاً، وما ينتج عنها من تلك التجارب المتنوعة والمختلفة من عِبر وخلاصات تكون نبراساً لأهل كل عصر ثم الذين يلونهم.

ثالثاً: توطئة حول الحكمة عند العرب

إن المتمعن في التراث العربي القديم، والقارئ لصفحاته، لا يكاد يغادر هذا الإرث إلا كان جازماً متيقناً بأن الحكمة جرت على ألسنة كثير منهم، فقد "كثرت الحكم والحكماء في الجاهلية" (خفاجي، 1992، ص147) ولا نكاد نقلب ديوان شاعر جاهلي أو خطب خطيب إلا نجده ضمن الكثير من الحكم المنظومة والمنثورة، بل نجدها تنوعت وتلونت بأشكال ومضامين مختلفة توائم وتناسب تلك الحقبة الزمنية وأهلها، وتصلح لمن بعدهم.

وإذا كان "العرب أفضل الأمم، وحكمتها أشرف الحكم" (ابن رشيق، 1981، 1\19) فإنه من الطبيعي بمكان أن تسير هذه الحكم وتذيع ويكون لها من يتلقفها ويثبتها ويتمثلها بما فيها من تقويم الفرد أو المجتمع بأكمله، لذلك فقد "كانت حكمة العرب راجعة إلى وثاقة الحلوم وشدة العقول وفضل المنزلة في تجارب الأيام، وكان أساس تلك الحكمة رسوخ الأخلاق فيهم بحكم العادة ونظر كل امرئ

لنفسه بحكم الطبيعة، وذلك كان محور دينهم الطبيعي" (الرافعي، 2000، 3\96) ويبدو من ذلك أن طبيعة الحياة وتقلبات أحوالها ومعاشها آنذاك فرضت على العرب تلك التجارب، وما يتخللها من أزمات أو نفحات تتقاطع مع حسن التدبير والتصرف، وما يكتسيه من رجاحة العقول والبصائر، الأمر الذي ولد لديهم تلك المحصلة المتمثلة بالحكم.

وفي باب الشعر يمكن القول إن "الحكمة الجاهلية دليل على رقي عقلية الشعراء وتفكيرهم وتأملهم في قضايا الناس والحياة، وهي ثمرة تجارب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم، والماضين ومصائرهم، وتأمل في سعي الإنسان وغايته ونهايته، ثم إحساس دقيق بالحياة" (الجبوري، 1986، ص403) وهذا يعطينا انطباعاً عاماً حول أشكال هذه الحكمة، والاتجاهات التي سارت فيها، والمضامين العامة والخاصة التي تقاطعت معها، لذلك نجد الشعر الجاهلي زاخراً بغرض الحكمة التي كانت نتاج تلك العقول، مجبولة بالذوق الفني الذي يجعلها ترسخ في أذهان الناس.

وهذا مما يؤكد أن "الحكمة الجاهلية لم تكن من نصيب النثر وحده، بل تعدته إلى الشعر، فجاءتنا في دواوين بعض الشعراء رافلة في ثوب الوزن والقافية، مغلفة بغلاف الأسلوب الشعري" (الفاخوري، 1980، ص15) وهي في بوتقتها الشعرية أكثر ذيوعاً وانتشاراً وثباتاً بين أوساط المجتمعات عبر العصور المتلاحقة.

لذلك إذا تأملنا شعر الحكمة وجدناه في وجه من وجوهه ذلك "التكثيف الفني لبعض الأفكار أو الأنظار أو التأملات التي كانت تخالط الشعراء من خلال التوهج الانفعالي... إنها –أي الحكمة– تأتي وجهاً آخر للحدة العاطفية وترجمة عقلية لها"(فكري، 1984، ص9) فتكون الحكمة في الشعر نتاج تمازج بين الانفعال والعاطفة والأفكار أو التأملات دون انفكاك عن العقل البشري الذي يسلم بها

لشدة ما فيها من الحقيقة والصواب، فهي "تقوم على مقررات ثابتة مسلم بها تقبلها العقول، وتنقاد لها النفوس والمشاعر" (عوضين، 1983، ص331) ولعل ذلك من أبرز العوامل والدعائم في ثبات هذا اللون أو الغرض، إذ لا يكاد يخلو عصر من العصور الأدبية من شاعر أو شعراء برزوا في باب الحكمة وأجادوا.

إذن، يمكن القول إن حكم الجاهلية "جاءت حقائق مجردة في متناول الفطرة السليمة تمليها التجربة والمشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم، وكانت أفكارهم صدى لهذه التأملات والمشاهدات، تُصاغ في بيت شعر أو مثل أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى ذات دلالات بعيدة" (الجبوري، 1986، ص403) وهذا ينسحب بطبيعة الحال على باقي العصور من جهة طبيعة تكوين الحكمة ودوافع انتاجها وشكلها الفني الذي تخرج فيه، وبالتالي هذا يعفينا من تتبع مسيرة هذا اللون في العصور التالية للعصر الجاهلي.

ولكن ذلك لا يعفينا من الإشارة إلى ورود الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذا أمر لا يخفى على مطلع، أما القرآن الكريم فقد وردت لفظة الحكمة في مواضع عدة مع اختلاف التفسير والدلالة، ومن ذلك قوله تعالى: ((ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (النحل: 125) أما السنة النبوية فقد وردت لفظة الحكمة على لسان نبينا الكريم –صلى الله عليه وسلم– ومن ذلك قوله: "إن من الشعر حكمة" (البخاري، 2002، ص1535) وغير ذلك من النصوص الكريمة.

ولعل سائلاً يسأل: ما الغاية أو الفائدة من الحكمة؟! والجواب بإيجاز أن "الغاية من الحكمة العبرة والاتعاظ والأخذ بما جاء فيها من حكم، أي غايات عملية وتأديبية" (علي، 1993، 8\338) وهذا

المؤمل ممن يسمع الحكمة أو يقرأها أو يدرسها أو يحفظها، إذ لا قيمة لحكمة أو ديوان حكم في جوف صاحبه ولا ينتفع أو يتأدب بها، وتكون له كما كانت لغيره في التوجيه والإرشاد.

المبحث الأول: التسليم بفكرة الموت والفناء

إن أول ما استوقف الباحثَ خلال استقرائه لديوان الشاعر، هو تلك الوقفات والتأملات المتعلقة بالموت والفناء وما يدور حولهما، وعندما تكون هذه الوقفات تسليماً بالفكرة وقبولاً بها وعدم معارضتها فهي تشكل مضموناً رئيساً من مضامين الحكمة في ذلك العصر بشكل عام، وعند شاعرنا على وجه الخصوص.

ولبيان ذلك نقف مع عدد من الأبيات الشعرية في ديوان أبي دواد، وأولها قوله (الإيادي، 2010، ص37):

كُلُّ امرئٍ بلقاء الموت مرتهنَ كأنَّه غرضٌ للموت منصوب

ويلاحظ حجم التسليم من قبل الشاعر بفكرة لقاء الموت وقدومه دون شك، حتى أطلق ذلك وعبَّر عنه بِحكم شاعريته من خلال هذا البيت ليكون في باب الحكمة التي وافقت العقل والفطرة الإنسانية السليمة، وهذا أمر لا شك أنه شائع في ذلك العصر، لذلك فإنه "لم يكن بدعاً من الشاعر –الجاهلي – أن تظهر لديه أفكار تنطوي على أن الموت أمر مقدر، قد كُتب على الإنسان مسبقاً، لذا فهو لا يقدر على الإفلات منه أو إبعاده عنه" (زيتوني، 2001، ص473) والحقيقة أن هذا يدل على رجاحة عقول أولئك النفر الذين سلموا بهذه الفكرة وصاغوها في أشعارهم حكمة باقية، فالموت جارٍ عليهم لا مناص ولا مهرب، وهم شهودٌ عيان على من مات منهم.

والشاعر في هذا البيت لم يستثنِ أحداً! فهو يقول (كل امرئ) وهذا يؤكد عدم مساورة الشك في نجاة أحدهم ممن سبق أو لحق، أضافة إلى أن الشاعر جعل كل إنسان وكأنه رهينة للموت لا يعلم متى يستردها، أو أنه غرض أي هدف منصوب ينتظر سهام الموت حتى تقنصه أو تصيبه.

وفي موضع آخر نجد أبي دواد يجلي ذات الفكرة فيقول (الإيادي، 2010، ص33):

وكُلُّ حِصْنٍ وإنْ طالَتْ سلامَتَه يوماً سيدْخُلُه النَّكْراء والْحوب

وكلُّ منْ خَال أَنَّ الْموتَ مُخْطِئُهُ معلَّلٌ بِسَواءِ الْحقِ مكْذُوب

والحقيقة أنك عندما تقف عند هذه المضامين الرئيسة للحكمة، والمتعلقة بالموت، تكاد تذهل من تلك المفارقة بين هذا الإنسان الجاهلي عموماً، والشاعر خاصة من جهة، وانقيادهم وتسليمهم لهذا الأمر دون نذير أو بشير من جهة أخرى! ولعل "هذا يدل على أن هؤلاء الشعراء نظروا إلى الموت نظرة فيها الكثير من الحتمية والاعتراف بنوازل الأقدار، ومدى عجز الإنسان عن إيقاف أجل أو منع حتف أو هروب من مصير محدق" (فورار، 2006، ص159) بل إنه من الحكمة بمكان أن يكون هذا القبول وعدم النفور أو الهروب من التسليم لهذا الأمر، فكيف سيكون الإنسان حكيماً أو يمتلك شيئاً من الحكمة وهو غير متقبل لفكرة وقوع الموت على الأحياء من قريب وبعيد.

وفي هذين البيتين نجد الشاعر عبَّر عن الفكرة من خلال شيء مادي ملموس ومحسوس ومعروف لهم في ذلك العصر، وهو الحصن على ما فيه من منعة وحماية وإدارة وقيادة، ومع ذلك سيقتحمه الحزن أو الشدة أو المصيبة، ثُمَّ يؤكد الفكرة بصريح العبارة في البيت الذي يليه من خلال إثباته قضية وقوع الموت وأن من ظن غير ذلك فقد جانب الحق والصواب.

إذن، فالشاعر من خلال هذه المضامين والصور من الحكمة المتعلقة بفكرة التسليم بالموت والفناء، لا يُنظّر تنظيراً أو ينظم شعراً مرصوفاً موزوناً مقفى للغاية الفنية والإبداعية بقدر ما هو أمر اختلج صدره ووجدانه وعقله حتى صار شيئاً مسلماً به، وبالتالي عبَّر عنه بحكم شعوريته من خلال هذه الأبيات المركزة في مضمونها ودلالتها.

ويبدو أن هذه الفكرة شائعة في ذلك العصر، وجرت الحكمة على ألسنة الشعراء في التعبير عنها والتسليم بها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما نلمسه في قول علقمة الفحل (الفحل، 1969، ص67):

وكُلُّ بيتٍ وإن طالَت إقامتُهُ على دَعائمه لابدَّ مهدوم

وهو لا يبتعد كثيراً في معناه ودلالته عن مضمون البيت السابق لأبي دواد الإيادي، وكأن كلاً من الشاعرين قرأ أفكار الآخر وما يدور في خلده حتى كانوا متقاربين في التعبير عن ذات الفكرة.

والباحث إذ يسوق هذا الشاهد لا يقصد تتبع الفكرة عند شعراء العصر الجاهلي بقدر ما هو إثبات لعمومية الفكرة وعدم الاختلاف فيها، لذلك نجد معظم الشعراء في ذلك العصر انبرت ألسنتهم حكمة وهم يدورون في فلك حتمية الموت وعدم الإفلات أو النجاة منه، كيف لا والحكمة في بعض وجوهها عبارة عن "نظرات وانطباعات وتأمل في الحياة والموت" (الجبوري، 1986، ص403) بل إن الحكمة كل الحكمة تنصب حول الموت وما يتعلق به، والحياة وما يدور فيها.

ومع وقفة أخرى في ديوان الإيادي، وهو ينظم تلك الحكم الباقية والمعبرة عن فكرة حتمية الموت ونزوله على رقاب الناس كلهم، إذ يقول (الإيادي، 2010، ص165):

وكذاكم مَصيرُ كُلِّ أُناسٍ سوفَ حقًّا تُبليهِمُ الأيَّام

وهنا نجد الشاعر تحول ليتحدث عن مصير الناس، وكأنه وصل إلى قناعة لا جدال فيها أو خلاف تتركز في زوالهم مع مرور الأيام، سواء طالت المدة أو قصرت، فإن مصيرهم إلى الزوال، وهو في هذا البيت ينسب الزوال والفعل إلى الأيام بحكم ما يشاهده ويعاينه خلال حياته من موت قريب أو صديق أو أخ أو غير ذلك ممن له علاقة بهم، وهذا الموت يكون تباعاً مع مرور تلك الأيام وانقضائها، وبالتالي فإن كل إنسان أزفت أيامه وانتهت فهو إلى زوال وفناء، وكأن "الموت أصبح عكس ظاهره، فهو نوع من العزاء بدلاً من أن يكون مصدراً للانزعاج والخوف" (فورار، 2006، ص164) وبالتالي لم يجد الشاعر بداً من الاستسلام والتسليم، والرضوخ للأمر الواقع لا محالة، وهو ما يتطلب منه صوغ هذه التجربة من التسليم والانقياد حكمة فنية معبرة ومفيدة للأجيال اللاحقة.

وإذا ما أردنا أن نتساءل: من أين للشاعر هذا الإقرار والحكم؟ وكيف تشكل عنده؟ فالحقيقة أن شاعرنا قبل هذا وذاك هو أحد أفراد ذلك المجتمع الجاهلي، ويجري عليه ما يجري عليهم، فليس بمنأى عنهم، أو له عالمه الخاص بحكم أنه شاعر أو غير ذلك! وبالتالي فإنه كان لزاماً عليه وقد طرق باب الشعر، وأصبح أحد شعراء القبيلة والمجتمع آنذاك، أن يعبِّر عما يدور في بيئته ومحيطه ومجتمعه، بل ويعكس ذلك في قالب شعري فني، ومن هذا المنطلق نستطيع القول إنه لسان المجتمع الذي يعيش فيه –كما غيره من الشعراء– وقضية الموت ووقوعه، والفناء وحتميته قضية ليست خاصة بفرد أو بشاعر لوحده! بل هي من أكبر القضايا في ذلك المجتمع، وأمر التسليم بها أشبه ما يكون بالأمر الذي لا خلاف حوله، وهنا يتجلى دور الشعراء من أمثال أبي دواد ليفرغوا هذه المسلمات والحتميات في بوتقة شعرية فنية تدخل في باب الحكمة ومضامينها.

ومن جهة أخرى، قد يكون "ما حمل الشاعر العربي فيما قبل الإسلام على أن يتحدث عن حتمية الموت إنما هو رغبته في تبرير أفعاله، وفي أن يعطي لحياته معنى" (عبدالسلام، 2017، ص12) بمعنى أن الشاعر وكأي إنسان في ذلك المجتمع قد تيقن وأقر بوقوع الموت وقدومه، فهذا شكل ردة فعل عكسية تجعله لا يبقى أسير هذا الفكر أو الانتظار أو الخوف وعدم الخروج من تلك الدائرة والبوتقة، بل تعطيه دافعاً للحياة والخوض في غمارها ومعتركها، والاستمتاع بكل لحظة من لحظاتها حتى تحين ساعة الموت المنتظر الذي لا مفر منه.

والحقيقة أن ذلك لا يتنافى مع ما يفرزه أبو دواد في هذا الباب، فهو لم يذكر الامتناع عن عيش الحياة بتفاصيلها بسبب حتمية الموت، ولكنه أثبت فكرة مسلماً بها من قبله إن لم يكن من قبل المجتمع كله، وأبدعها حكمة أدبية في صورة فنية شعرية، تكون تذكيراً لهم ولمن بعدهم، وهذا هو جوهر الحكمة عموماً، إذ لا بد أن يكون لها ثمرة نظرية أو عملية تتلقفها الأجيال اللاحقة، ولا تكون حكراً على جيل أو عصر دون غيره.

أما في ديننا الحنيف فقد جاءت نصوص من الكتاب والسنة في إثبات وقوع الموت، ومن ذلك قوله تعالى: ((كُلُّ من عليها فانٍ * ويبقى وجه ربك ذُو الْجَلَالِ والْإِكْرَامِ))(الرحمن: 26-27) وقال تعالى: ((الذي خَلَقَ الْموتَ والْحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أَحسن عملاً وهو الْعزِيزُ الْغَفُور))(الملك: 2) وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-:"اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقلُّ للحساب" (الألباني، 1988، ص90) وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة المطهرة التي أثبتت حتمية الموت، وأن لا مناص منه.

المبحث الثاني: حول الكرم والسخاء

لعل الكرم من أشهر شيم العرب وعاداتهم في الجاهلية، وهذا ظاهر جلي لا يخفى على مطلع أو متفحص لتاريخ العرب في ذلك العصر، لذلك فإن "قيمة الكرم كانت في مقدمة القيم التي حفل بها الشعر، واهتم بها الشعراء" (زيتوني، 2001، ص253) بل كانوا يتنافسون في ذلك على مستوى الأفراد أو القبائل عموماً.

وأبو دواد الإيادي كان ممن أطلق حِكماً باقية في بعض أشعاره ومن خلال بعض المشاهد والتصويرات والمواقف التي تؤكد هذه القيمة في المجتمع وتحض عليها، وتنقد من يخالفها، وهذا ليس بغريب في باب الحكمة! إذ نجد من ضروب الحكمة "ما اتجه إلى الناس وأخلاقهم وطباعهم والشكوى من أذاهم"(الجبوري، 1986، ص414) فجاءت مجموعة من الأبيات والمقطوعات عند أبي دواد تدور مضامينها في هذا الشأن، وتكون حقيقة ثابتة في المجتمع مسلم بها، وأول هذه الوقفات الحكمية في مضمونها في هذا الشأن، كانت على شكل تأنيب لزوجته عندما عاتبته على سماحته في ماله وإنفاقه دون تردد، إذ يقول (الإيادي، 2010، ص142):

حاولْت حين صرمتني والمرء يعجزَ لا المحالهْ
والدّهر يلعب بالفتى والدّهر أروغُ من ثعالهْ
والمرء يكسب ماله والشُّحُّ يورثُهَ الكلالهْ

فالشاعر من خلال هذا الخطاب لا يثبت فكرة خاصة به أو بزوجته! وإنما يطلق حكمة لمن حوله ومن يسمعه أو يقرأ شعره من الأقوام اللاحقين، وهو بذلك يؤكد قيمة رفيعة في المجتمع تتمثل في إنفاق المال في وجوهه، وترك البخل أو الشح، إذ يظهر من خلال الأبيات أن زوجة الشاعر لم

يروقها ذلك، وكأنها تريد جمع المال والاستكثار منه، وبالمقابل نجد أبي دواد ينهرها ويؤنبها في هذا التوجه، ويبين أن الشح أو البخل في المال يجعله من نصيب الورثة من أهل بيته أو أقاربه إذا لم يكن له ولد، وفي ذات السياق يؤكد أبو دواد قضية تقلبات الأيام والأحوال وعدم دوامها على حال، فهي كما قال أروغ وأمكر من الثعلب الذي لا يؤتمن جانبه، وهذا مدعاة لعدم الركون لدوام الحال، أو استجماع المال لأيام لا يعلم الإنسان هل يدركها أم لا.

وقد يقول قائل: أين الحكمة في ذلك؟! والجواب أن مثل هذا الإثبات لقيمة وعادة وشيمة مما تعارف عليه العرب واتفقوا عليه، والحديث فيما يحض عليها ويؤصلها في هذا القالب الفني والشعري لا شك يقع في باب الحكمة، فهي وافقت الصواب والرشاد، وعبرت عن تجربة إنسانية، ولا تخالف الفطرة البشرية، وهي مما تتقبله النفوس والعقول، إضافة إلى أن مثل هذا القالب الفني يكون أكثر وقعاً وواقعية عندما استحضر الشاعر الزوجة المخاطبة مؤنباً لها، فأدى ذلك وظيفة إثبات قيمة الكرم من قبله، ووظيفة رفضه لما يقابل ذلك من الشح أو البخل وما شابه ذلك من العادات المذمومة.

لذلك نلمس في رؤية عدد من الشعراء الجاهليين أن "إكرام أبناء القبيلة، وعون الأهل، ومساعدة الأقرباء، عدت واجباً يحتمه العرف السائد الذي يستند على القيم الخلقية، تلك التي اعتقد فيها الإنسان العربي، وأضحت لديه منهجاً يسير عليه" (زيتوني، 2001، ص268) وهذا يتفق مع فكرة أبي دواد في الأبيات السابقة.

أمَّا قوله: (والمرء يعجز لا المحالة) ففيه تأكيد صريح بأن المرء يضجر ويسخط ويمل من طلب الحاجة التي يريدها ويطلبها وبالتالي يتركها، ولكنه لو استمر في طلبها والاحتيال والتحايل لها واستخدام ما يمكن لأدركها وحصلها، ذلك أن الحيلة واسعةٌ ممكنةٌ غير معجزة، وقد ذهبت مقولة أبي

دواد مثلاً في ذلك، وهو قولهم: "المرء يعجز لاَ محالَةَ، أي لا تَضيقُ الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز، والمحالة: الحيلة" (الميداني، 2023، 3\247) بل إنها وردت في ثنايا "خطبة أكثم بن صيفي أمام كسرى... المرء يعجز لا المحالة"(صفوت، 1933، 1\56) ويمكن ربط فكرة هذا البيت بما بعده مما يتضمن قيمة الكرم في أن الإنسان بدلاً من أن يكون جامعاً للمال شاحاً به وبخيلاً، بإمكانه إنفاقه في وجوهه وفي أبواب الكرم كما هي عادة الناس، وهو لا يعجز بما أوتي من قوة أن يجمع مالاً مرة أخرى، ويكون منتجاً كاسباً ومنفقاً، ولا يكون عاجزاً استجمع مالاً يخشى إنفاقه وبذله لأنه اقتنع بعجزه وقلة حيلته في أن يكسب مالاً أو يعمل عملاً لكسبه.

إذن، فشاعرنا في هذه المقطوعة صدح بفكرة حكيمة –وإن لم يكن أول من أثبتها أو آخرهم– لكنه استطاع أن يجلي أمراً جللاً نستطيع أن نجعله في مضامين الحكمة وصورها لكونه متعلقاً بمبدأ مجتمعي اجتماعي لا خلاف حوله، ونابع من تجربة خاصة وعامة، وبالتالي اختزل هذه الفكرة في طريقة فنية شعرية، جعلت القارئ يشعر بأنه لا يقول نظماً بقدر ما ينسج دستوراً اجتماعياً فيه من الخير العام على ذلك المجتمع وغيره، ولعل "أبرز خصلة يعتز بها العربي ويتميز بها عن غيره هي الكرم والسماحة والبذل" (الجبوري، 1968، ص61) وهذا مما ظهر واضحاً في ثنايا أبيات أبي دواد. وفي أبيات أخرى لا تبتعد كثيراً في مضمونها عن الأبيات السابقة، نجد أبي دواد أيضاً يتحدث عن زوجته التي كانت تلومه على إنفاقه المال في الحاجات وبذله للأقربين والمحتاجين فلم يكن يسمع لومها، إذ يقول (الإيادي، 2010، ص175):

فى ثلاثين ذعذعتها حقوق أصبحت أم حبتر تشكونى

زعمت لي بأنني أفسد المال وأزويه عن قضاء ديوني

أمَّلَت أن أكون عبداً لمالي وتهنا بنافعِ المالِ دوني

إن من شيمتي لَبذل تلادي دون عرضي فإن رضيت فكوني

ربَّ أمرٍ فرَّجتَه بعزيم وغُيوبٍ كَشَّفتُهَا بِظُنُونِ

وما زال الشاعر يؤكد قيمة ومضموناً يتلخص في إنفاق المال في الحاجات، وعلى من يحتاجه من الأهل والأقارب، أو قضاء الدين، وما شابه ذلك من وجوه السخاء والإنفاق والبذل، وبالمقابل يرفض أبو دواد أن يكون أسيراً وعبداً لماله وهو المتحكم به، إذ إن هذا من خوارق المروءة وما جرت عليه عادة الناس والمجتمع وعرفهم، لذلك فهو يثبت أمراً مسلماً به لا ينكره عاقل أو ذو بصيرة يتمثل في أن يكون الإنسان منفقاً وباذلاً لماله ولا يكون كانزاً له خائفاً عليه إلى درجة الشح والبخل.

والشاعر إذ هو أحد أفراد هذه القبيلة أو المجتمع، لا بدَّ أن يكون مطلعاً على كثير من أحوالهم وحالاتهم وأوضاعهم، وبالتالي يعلم أنهم أحوج ما يكونوا لإثبات مثل هذه القيم والحض عليها، وإطلاقها حِكَماً ينادي بها القريب والبعيد، ويتغنى بها القوم وعامة الناس، لأنها لا تخالف عرفهم وعادتهم، بل فيها من التنبيه والإرشاد ما يعود عليهم جميعاً بالخير، خاصة وأن العرب في ذلك الوقت مرت بهم ظروف مختلفة جعلت كثيراً منهم في أشد الفاقة والحاجة، ولا شك أنهم "كرماء في كل وقت، ولكنهم يشيدون بالكرم إذا أجدبت الأرض وكفّت السماء، لأنه كرم تحرص النفوس فيه على البقاء والاحتفاظ بالمال، فهو كرم جدير بالثناء" (الحوفي، 1952، ص243) وهنا يأتي دور أبي دواد وبقية الشعراء الذي اعتنوا بتضمين أشعارهم شيئاً من الحكم التي تلامس واقع حالهم ومعيشتهم ومجتمعهم.

وإذا تحولنا إلى فكرة مقابلة للفكرة السابقة ومكملة لها، نجد أبي دواد لا يتحرج من الفقر ولا يعده عيباً، بل نجد له رأياً آخر أقرب ما يكون للحكمة والصواب، فيقول (الإيادي، 2010، ص163):

لا أعدُّ الإقتار عدماً ولكن فقدَ من رزئتَه الإعدام

وهذا المطلع من "قصيدة أصمعية لأبى دواد الإيادى يرثي فيها من أودى من شباب قبيلته وكهولهم" (ضيف، 1995، 210/1) والحقيقة أن سوق هذا الشاهد ليس خروجاً عن النص، بل هو يتضمن في وجه من وجوهه تأكيد فكرة أن الفقر ليس عيباً أو منقصة وبالتالي هذا فيه إثبات لقضية بذل المال وإنفاقه كما سلف، ومن جهة أخرى فيه إثبات لفكرة أخرى وهي أن فقد أعيان القوم وأصحاب القدر والرأي هو الفقر الحقيقي، وبالتالي نجد في ذلك مضموناً حكيماً يتجلى في أن المكسب الحقيقي هو الإنسان وليس المال، فما يغني المال وكثرته وجمعه إذا فُقد عزيز أو قريب أو غيرهم؟! ولعل "أولئك الأفراد الذين صرعوا، وفقدتهم القبيلة، ليسوا في نظر الشاعر إلا أناساً في منتهى البطولة والسؤدد والشرف، فهم يجمعون الخلال الحميدة كلها، ويتصفون بأنبل الصفات وأفضلها" (زيتوني، 2001، 79) ولا ألوم الشاعر في صرخته هذه! فهو إذا كان أُصيب بمثل هذا الفقد والجرح، فهو أقدر ما يكون على التعبير عن هذه التجربة –وإن كانت مؤلمة– وإفرازها حكمة موجزة وعبرة يعتبر بها من يسمع ويقرأ ويعلم.

إذن، فهذه الصور مجتمعة ومن خلال هذه المقطوعات والأبيات المتفرقة من ديوان الشاعر، نستطيع القول إن أبا دواد في أبياته تلك استطاع أن يجلي لنا مضموناً عاماً من مضامين وصور الحكمة في عصره، يدور حول الكرم والسخاء في الإنفاق، وترك الشح والبخل وذم ذلك، ثم إن الفقر ليس عيباً أو انعداماً، بل إن الفقر الحقيقي والافتقار في فقد الرجال الأكفاء.

ومثل هذه الحكم شاعت وجرت على ألسنة الناس، ليس لأنها شعراً فقط بقدر ما تحتويه من قيم وإرشاد وتعبير عن تجربة فيها عبرة وخلاصة إنسانية تصلح لأي مجتمع في أي زمان ومكان، وليس أدل على ذلك من جواب "الحطيئة عندما قيل له من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول: لا أعد الإقتار عدما ولكن ... فقد من قد رزئته الإعدام" (ابن قتيبة، 2002، 1\232) ومما أثبت مثل هذه القيم هو إثبات الإسلام لها، إذ وردت نصوص في الكتاب والسنة المطهرة تتضمن ذلك، نذكر منها قوله تعالى: ((وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ)) (المنافقون: 10) وحين سئل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: أن تَصَّدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى..." (البخاري، 2002، ص344) وهذا على سبيل الاستشهاد لا الحصر.

وليس المقام مقام تفسير أو بسط للنصوص، بقدر ما هو إظهار وتجلية لقيمة هذه المضامين من خلال موافقتها لما جاء به الدين الحنيف، ومن جهة أخرى وفاء من الباحث للمنهجية التي أوردها في مقدمة الدراسة في تدعيم مضامين الحكم التي جال فيها أبو دواد بما يتيسر من الكتاب والسنة، وتصديقاً لحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– السالف ذكره في توطئة الدراسة.*

المبحث الثالث: حول حفظ العهد والجوار

إن حفظ العهد وحفظ الجوار ليسا بالأمر الهين، لذلك لا تجده عند جميع الناس، وبالمقابل تجد هذا الأمر في حال وقوعه مصدر فخر للفرد وللقبيلة أكثر وأكثر، بل إنه غالباً ما يكون من مهمات القبيلة مجتمعة، وهذا ما جرت عليه عادة العرب في جاهليتهم، وهو أمر بديهي ثابتٌ في عرفهم وتقليدهم، وهذا الكلام لا يعني عدم وجود العكس عند البعض، لذلك "لم يكن من السهل المحتمل أن

* قوله –صلى الله عليه وسلم- :(إن من الشعر حكمة).

يخيس حليف بعهده، أو ينقض حامِ ذمة عقدها لجار، فإنهم كانوا إذا غدر منهم أحد رفعوا له لواء بسوق عكاظ ليشهروا به" (الحوفي، 1952، ص225) وعليه فإن أبا دواد الإيادي لم يخلو ديوانه من هذا القبيل المحمود والمقبول عرفاً وعادة.

وقد يظن في ذلك خروجاً عن موضوع الحكمة! والحق أنه في صميم الحكمة، فالحكمة كما أسلفت الدراسة لا تَقيد بشكل واحد أو مضمون معين تقف عنده، بل هي أوسع وأشمل تَغطي كل شيء يتعلق بالإنسان وحياته مما وافق الحق والصواب والرشاد والفطرة الإنسانية السليمة، وجاءت موجزة معبرة تقبلها العقول والقلوب.

وعوداً إلى شاعرنا وطرقه لهذا المضمون من مضامين الحكمة، فنجده يقول (الإيادي، 2010، ص60):

ترى جارنا آمنا وسطنا يروح بعقد وثيق السبب

إذا ما عقدنا له ذمة شددنا العناج وعقد الكرب

وهو لا شك يتحدث باسم القبيلة، ويفخر بذلك الصنيع –وحق له أن يفخر– فهم عدُّوا الجار ومن دخل في جوارهم كأنهم منهم، بل وجعلهم في الوسط وليس الطرف في إشارة إلى أحاطتهم من كل جانب خوفاً وحرصاً عليهم، فهو في ذمتهم وعهدهم ووصايتهم، ومن المعلوم أن "العرب كلها تعارفت على قانون الجوار، وكانت القبيلة تجد في حماية الجار مصدر فخر لها، وأن في منعته منعة لها، وأن أي أذى يلحق به يلحق بها، ولو كان هذا الجار من غير عصبيتها" (عبدالرحمن، 1981، ص138) وبالتالي فإن شاعراً كأبي دواد لم يفوِت هذه المناسبة والحدث، لتجده يسوق ذلك شعراً معبراً ذائعاً في الأوساط، بل ويلامس الحكمة في بعض مضامينها وأغراضها ووجوهها، فهو يثبت

عادة وقيمة جرت عند العرب وتفاخروا بها، ويختزل مثل هذه التجربة الحميدة في أبيات موجزة لا تعدَ أن تكون خلاصة لقيمة إنسانية في ذلك العصر وما بعده.

وما يجعلنا نجزم إلى حد ما بشمول الحكمة لمثل هذه المضامين المتعلقة بحفظ العهد والجوار، هو اتفاق الناس على ذلك بشكل عفوي وفطري وإن خالف البعض ذلك فهو خروج عن القاعدة يؤكدها ولا ينفيها أو يضعفها، يضاف إلى ذلك أن هذا التكثيف في المعنى والدلالة جعل البيتين يحملان عصارة تلك التجربة الإنسانية التي عبر عنها أبو دواد، حتى صارت في بوتقة فنية شعرية تجري مجرى الحكمة، وتتقبلها النفوس والعقول في كل عصر.

وقس على ذلك في قرارة نفسك، عندما تسمع هذين البيتين، وبغض النظر عن المناسبة، فإنك تشعر بنبل أولئك القوم، وسلامة طباعهم في هذا الباب، ليس لشيء إلا لأنهم أجاروا وحفظوا العهد والجوار، وبالتالي هذا ينسحب على كل إنسان يمتلك نزعة سليمة، فإنه يتمثل مثل هذه الأبيات في مضامينها ومعناها التي وافقت العرف والطبع السليم، وهذا لا شك مما يلحقها في باب الحكمة، ولو لم يكن كذلك لما "أخذه الحطيئة، فقال: قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا" (ابن قتيبة، 2002، 1\240) ولعل مثل هذا الأخذ من قبل الشعراء اللاحقين يثبت مصداقية الفكرة والمعنى ومناسبة المضمون للجميع، بل إننا نجد أحد شعراء ذلك العصر الجاهلي يأتي بذات الفكرة والخلاصة، وهو المثقب العبدي فيقول (العبدي، 1971، ص229):

أُكرِم الجار وأَرعى حَقَّهُ إِنَّ عِرفانَ الفَتى الحقَّ كَرم

وهذا الاستشهاد هو فقط لتدعيم الفكرة في هذا المبحث من الدراسة، وإثبات إجادة أبي دواد في تناوله مضموناً وخصلة اجتماعية يحتاجها كل مجتمع سليم، ولا غنى له عنها، ولك أن تتخيل أي مجتمع

لا يوجد فيه مثل هذه الأمور من حفظ العهد والوعد وحفظ الجوار! كيف ستكون الحال والمآل، لذلك "كان العرب يحرصون على المثل العالية والخصال النبيلة، ويفخرون بأدائها والوفاء بحقها، ومن تلك الخصال حفظ الجوار والوفاء بالعهد، فهم يحرصون على جارهم حرصهم على شرفهم" (الجبوري، 1968، ص67) بل إن كثيراً من حكم العرب كانت لا تنفك عن حياتهم الاجتماعية وما فيه خير وسلامة المجتمع وتماسكه، بغض النظر عن المخالفات التي لا يسلم منها كل مجتمع قديماً وحديثاً.

وفي ديننا الحنيف وردت الكثير من نصوص الكتاب والسنة في هذا الشأن، ومن ذلك قوله تعالى: ((الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ)) (الرعد: 20) وقول نبينا –صلى الله عليه وسلم– :"آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" (البخاري، 2002، ص18) وقوله – صلى الله عليه وسلم– : "والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه" (البخاري، 2002، ص1509) وغير ذلك من النصوص التي تثبت هذه القيمة الحكيمة على مستوى الفرد والمجتمع والأمة.

إذن، فنحن أمام شاعر –وإن كان وصافاً للخيل– لكنه ضمَّن ديوانه شيئاً من وجوه وألوان ومضامين الحكمة التي تسود في أي مجتمع، لكنها تحتاج من يختزلها ويحبكها بطريقة فنية لا تخرج عن الأنموذج الرفيع للحكمة الأدبية المضمنة في الشعر، وكثافة ما فيها من المعاني والإرشاد والنصح والتنبيه، والحض على أمور الخير والفضيلة، أو النهي عن مساوئ وشرار الأمور والعادات.

وهذا مما ظهر جلياً خلال عرض هذا المبحث والمطالب السابقة من الدراسة، إذ كانت وقفات مع بعض المقطوعات والأبيات الشعرية المفردة التي استقرأها الباحث ولمس فيها وجوه الحكمة وبعض مضامينها وأغراضها، وبالتالي عرضها وحللها بالقدر الذي يخدم الفكرة العامة للدراسة والغاية المرجوة

منها، دون التطرق للنواحي الفنية أو البلاغية في تلك المقطوعات والأبيات، فذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة في بابها.

ومن جهة أخرى فإن هذه الأبيات التي وقفت عليها الدراسة في مطالبها الثلاثة رغم قلة عددها في كل مطلب، فإنه يلمس فيها كثافة المعنى وعمق الدلالة في مضمونها، بل إنها اختصرت كثيراً من الكلام الذي يمكن أن يقال أو يكتب في كل موضوع أو غرض من أغراض الحكمة التي طرقها الشاعر.

الخاتمة

أَما وقد وصلت هذه الدراسة إلى خاتمتها وختامها! فإنه لا بدَّ من الإشارة إلى أن مثل هذا الجهد وهذه الوقفات لا تَعدَ أن تكون إضافة متواضعة في بابها ومجالها، في حين أن شاعراً مثل أبي دواد الإيادي يحتاج إلى مزيد من البحوث المكثفة التي تستنبط مكنونات أشعاره وقصائده، وبالتالي فإن الباحث يستشهد بما استشهد به القلقشندي في صبح الأعشى بقوله: (الكتاب كالمكلف لا يسلم من المؤاخذة، ولا يرتفع عنه القلم) وهذا ينسحب على هذه الدراسة.

وطبيعي أن تتوصل الدراسة إلى مجموعة من النتائج، والتي يمكن عرضها كما يلي:

أولاً: الحكمة غرض وموضوع قديم متجدد لا يمكن تقييده أو حصره بل هي متنوعة ومختلفة بحكم اتصالها بالإنسان وحياته وفكره.

ثانياً: أن أبا دواد الإيادي طرق غرض الحكمة في عدد من مقطوعاته الشعرية وأبياته المتفرقة في قصائده.

ثالثاً: تنوعت مضامين الحكمة وموضوعاتها في شعر أبي دواد الإيادي ولم تقتصر على مضموناً واحداً.

رابعاً: كان التسليم بفكرة الموت والفناء من أكثر موضوعات الحكمة التي اعتنى بها أبو دواد الإيادي.

خامساً: كان لقيمة الكرم والسخاء مساحة من مضامين الحكمة في شعر أبي دواد الإيادي.

سادساً: أثبت أبو دواد عادة جلية حكيمة في المجتمع الجاهلي تمثلت بحفظ العهد والجوار وعبر عنها تعبيراً حكيما.

سابعاً: كانت مضامين الحكمة التي عرض لها أبو دواد في بعض أشعاره على اتصال بثقافة المجتمع الجاهلي وطبائعه.

ثامناً: أن أبا دواد وإن كان وصافاً للخيل واشتهر عنه ذلك إلا أنه لم يخل ديوانه من مضامين متعلقة بغرض الحكمة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ابن رشيق، أبو علي القيرواني. (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه (تحقيق محمد محي الدين، ط. 5). دار الجيل.
2. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (2002). الشعر والشعراء (تحقيق أحمد محمد شاكر). دار الحديث.
3. الألباني، محمد ناصر الدين. (1988). صحيح الجامع الصغير (إشراف زهير الشاويش، ط. 3). المكتب الإسلامي.
4. أنيس، إبراهيم وآخرون. (2004). المعجم الوسيط (ط. 4). مجمع اللغة العربية.
5. الإيادي، أبو دواد. (2010). الديوان (تحقيق أنوار الصالحي وأحمد السامرائي، ط. 1). دار العصماء.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل. (2002). صحيح البخاري (ط. 1). دار ابن كثير.
7. الجبوري، يحيى. (1968). الجاهلية: مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي. مطبعة المعارف.
8. الجبوري، يحيى. (1986). الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه (ط. 5). مؤسسة الرسالة.
9. الجرجاني، علي بن محمد. (2003). التعريفات (تحقيق محمد باسل السود، ط. 2). دار الكتب العلمية.

10. الحوفي، أحمد محمد. (1952). الحياة العربية من الشعر الجاهلي (ط. 2). مطبعة نهضة مصر.

11. خفاجي، محمد عبد المنعم. (1992). الحياة الأدبية في العصر الجاهلي (ط. 3). دار الجيل.

12. الرافعي، مصطفى صادق. (2000). تاريخ آداب العرب (ط. 1). دار الكتب العلمية.

13. الزركلي، خير الدين. (2002). الأعلام (ط. 15). دار العلم للملايين.

14. زيتوني، عبد الغني. (2001). الإنسان في الشعر الجاهلي (ط. 1). مركز زايد للتراث والتاريخ.

15. الشنتمري، يوسف بن سليمان. (1983). أشعار الشعراء الستة الجاهليين (تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط. 3). دار الآفاق الجديدة.

16. صفوت، أحمد زكي. (1933). جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ط. 1). المكتبة العلمية.

17. ضيف، شوقي. (1995). تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي (ط. 1). دار المعارف.

18. عبد الرحمن، عفيف. (1981). المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، 4(13)، 127–158.

19. عبد السلام، محمد. (2017). الموت في الشعر العربي (ترجمة مبروك المناعي، مراجعة حمادي صمود، ط. 1). مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

20. العبدي، المثقب. (1971). الديوان (تحقيق حسن كامل الصيرفي). معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية.

21. علي، جواد. (1993). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط. 2). جامعة بغداد.

22. عوضين، إبراهيم. (1983). الأدب العربي بين البادية والحضر. (د. ن).

23. الفاخوري، حنا. (1980). فنون الأدب العربي: الحكم والأمثال (ط. 4). دار المعارف.

24. الفحل، علقمة. (1969). الديوان بشرح الأعلم الشنتمري (تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، مراجعة فخر الدين قباوة، ط. 1). دار الكتاب العربي.

25. فروخ، عمر. (2006). تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية (ط. 8). دار العلم للملايين.

26. فكري، عبد الله. (1984). نظم اللآل (شرح عبد المعين الملوحي، ط. 1). دار الأوزاعي.

27. فورار، محمد. (2006). تجليات الحياة والموت في الشعر الجاهلي. مجلة فكر وإبداع، 35، 147–170.

28. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد. (2023). مجمع الأمثال (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). المكتبة العصرية.

References

The Holy Qur'an.

1. Abd al-Rahman, A. (1981). The Proverb and Moral Values in Pre-Islamic Poetry. Journal of the Jordan Academy of Arabic, 4(13), 127-158.
2. Abd al-Salam, M. (2017). Death in Arabic Poetry (M. Al-Mannai, Trans., 1st ed.). Mominoun Without Borders Institution.
3. Al-Albani, M. N. (1988). Sahih al-Jami' al-Saghir (Z. Al-Shawish, Ed., 3rd ed.). The Islamic Bureau.
4. Al-Abdi, Al-Muthaqqab. (1971). The Diwan (H. K. Al-Sayrafi, Ed.). Institute of Arabic Manuscripts.
5. Al-Bukhari, M. (2002). Sahih al-Bukhari (1st ed.). Dar Ibn Kathir.
6. Al-Fahl, Alqama. (1969). The Diwan with Explanation by Al-A'lam al-Shantamari (L. Al-Saqqal & D. Al-Khatib, Eds., 1st ed.). Dar al-Kitab al-Arabi.
7. Al-Fakhouri, H. (1980). Arts of Arabic Literature: Proverbs and Wisdom (4th ed.). Dar al-Ma'arif.
8. Al-Hufi, A. M. (1952). Arab Life in Pre-Islamic Poetry (2nd ed.). Nahdat Misr Printing House.
9. Al-Iyadi, A. D. (2010). The Diwan (A. Al-Salihi & A. Al-Samarraie, Eds., 1st ed.). Dar al-Asmaa.
10. Al-Jubouri, Y. (1968). The Pre-Islamic Era: An Introduction to Arab Life for the Study of Pre-Islamic Literature. Ma'arif Press.
11. Al-Jubouri, Y. (1986). Pre-Islamic Poetry: Its Characteristics and Arts (5th ed.). Al-Resalah Foundation.
12. Al-Jurjani, A. (2003). The Definitions (M. B. Al-Soud, Ed., 2nd ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyah.

13. Al-Maydani, A. (2023). Collection of Proverbs (M. A. Ibrahim, Ed.). Al-Maktabah al-Asriyah.
14. Al-Rafii, M. S. (2000). History of Arabic Literature (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
15. Al-Shantamari, Y. (1983). Poems of the Six Pre-Islamic Poets (3rd ed.). Dar al-Afaq al-Jadidah.
16. Al-Zirikli, K. (2002). The Notables (Al-A'lam) (15th ed.). Dar al-Ilm lil-Malayin.
17. Ali, J. (1993). The Detailed History of the Arabs before Islam (2nd ed.). University of Baghdad.
18. Anis, I., et al. (2004). The Intermediate Dictionary (4th ed.). Academy of the Arabic Language.
19. Awadin, I. (1983). Arabic Literature between Bedouin and Urban Life. (n.p.).
20. Dayf, S. (1995). History of Arabic Literature: The Pre-Islamic Era (1st ed.). Dar al-Ma'arif.
21. Farrukh, O. (2006). History of Arabic Literature from the Beginning of the Pre-Islamic Era to the Fall of the Umayyad State (8th ed.). Dar al-Ilm lil-Malayin.
22. Fawrar, M. (2006). Manifestations of Life and Death in Pre-Islamic Poetry. Fikr wa-Ibda' Journal, 35, 147-170.
23. Fikri, A. (1984). The System of Pearls (Nazm al-La'al) (A. Al-Malluhi, Ed., 1st ed.). Dar al-Awza'i.
24. Ibn Qutaybah, A. (2002). Poetry and Poets (A. M. Shakir, Ed.). Dar al-Hadith.
25. Ibn Rashiq, A. (1981). The Pillar (Al-Umdah) in the Merits and Manners of Poetry (M. Muhyi al-Din, Ed., 5th ed.). Dar al-Jil.

26. Khafaji, M. A. (1992). Literary Life in the Pre-Islamic Era (3rd ed.). Dar al-Jil.

27. Safwat, A. Z. (1933). Collection of Arab Orations in the Flourishing Arab Eras (1st ed.). Al-Maktabah al-Ilmiyah.

28. Zaytounei, A. (2001). Man in Pre-Islamic Poetry (1st ed.). Zayed Center for Heritage and History.